الأدب الاسلامي إشكالية المصطلح والتعريف

م.د.عبد الكريم أحمد عاصي المحمود*

لقد كان المفهوم الحديث لمصطلح الأدب الإسلامي مثاراً للنزاع والخصومة بين النقاد،حين أطلقه سيد قطب لأول مرة عام ١٩٥٢ وأراد به التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية . ثم جاء محمد قطب ليؤكد هذا المصطلح ويحدد مفهومه الجديد بأنه التعبير الجديد عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام لهذا الوجود (١)، مما أثار زوبعة من الاحتجاج والاستنكار لدى قطاع كبير من المتأدبين ولاسيما المحسوبين على التيار العلماني فقابلوه بالسخرية و أبداء مشاعر الضيق والتبرم ، وهم"إنما وقفوا ذلك الموقف من منطلق أيديولوجي أحياناً ومن منطلق الجمود على فهم دلالي ساد فترة من الزمن ، أحياناً أخرى ، ولم يستوعبوا مستجدات الاصطلاح وقلما كان هنالك مسوّغ علمي جدير بالتأمل وراء هذه الخصومة أو الرفض والدليل على ذلك أمران : أولهما- أنهم ظنوا أن مصطلح الأدب الإسلامي بدعة لم يكن للدرس النقدي والأدبي به عهد من قبل وان هنالك دوافع غير علمية – ولنقل بصريح العبارة دوافع أيديولوجية – كانت وراء ظهور المصطلح ، فهم يتساءلون : وما الأدب الإسلامي؟ وما علاقة الإسلام بالأدب؟ والحال أنهم يتلقون بالقبول مصطلحات مماثلة تتصل بالعلوم والفنون ، فهم لا ينكرون الحديث عن الفلسفة الإسلامية والتاريخ الإسلامي بل والفن الإسلامي ... حتى إذا تعلق الأمر بالأدب الإسلامي استنكروا وأستغشوا ثيابهم وأصرّوا واستكبروا استكباراً .

وثانيهما – إن عدداً من أولئك المنكرين قبلوا مصطلح الأدب الإسلامي وتداولوه ودرّسوه لطلبتهم عقوداً من الزمن يوم كانت دلالته التاريخي مهيمنة ، وجادلوا فيه وأنكروه يوم تطورت الدلالة أو لنقل تجددت ، فهم كانوا ومازال بعضهم لا يفهم من مصطلح الأدب الإسلامي إلا ذلك الأدب المقترن بفترة معينة من الزمن هي فترة البعثة والخلفاء الراشدين لا تتعدى ذلك عند طائفة منهم ، وهي عند طائفة أخرى تتسع بعض الأتساع لتشمل عصر بني أمية"(٢) ويبدوا إن إصرارهم على هذا الفهم التاريخي المحدود لمصطلح (الإسلامي) إنما هو في حقيقة تقليد للغرب في أطلاقهم لفظة (نصراني) على الأزمنة السابقة للعصور الحديثة والمعاصرة بسبب فصلهم السياسة عن الدين ، وقد نتج الاضطراب عن هذا التقليد غير الواعي بطبيعة الإسلام المختلفة عن سائر التصورات والديانات الأخرى، اذا هو لايفرق بين السلطتين الزمنية والدينية ولايجعل الدين بمعزل عن الحياة كما يعتقد الغربيون(٣) . وكان للمستشرقين اثرهم الواضح في احداث هذا الاضطراب اذ اختلفت رؤيتهم الاستشراقية لمصطلح الادب الاسلامي اختلافاً كبيراً عن غيرها من الرؤى ، فكثيراً ما اكّدوا على ان هذا المصطلح لايجسّد خصوصية الادب

* مدرس دكتور في كلية الفقه قسم اللغة العربية جامعة الكوفة



الاسلامي الملتزم ،ولذلك دعا بعضهم الى النظر في ادب الحضارة الاسلامية كلها ابتداءاً من عنصر النبوة الى الآن في اطار هذا المصطلح لأن الاسلام – في زعمهم – هو روح الحضارة العربية ولايمكن النظر في أي مظهر حضاري في غيبة روح هذه الحضارة ولذلك رأى الستشرق الامريكي جوستاف فون جرنباوم صلاحية مقياس (الاسلامية) معللاً ذلك بأن " أربابها اندمجوا معاً في دين واحد . ووحدة الآداب ظلت متماسكة الأطراف لأن اصحابها توحدوا في تجربتهم الوجودية ومنازعهم الفكرية الاساسية والانطواء تحت سلطان مباديء تنص على الشكل وطريقة التعبير واشتراكهم في نظام سياسي واجتماعي عاشوا في ظله "[٤] ، وبذلك فقد اصبح (الأدب العربي) عند اولئك المستشرقين مرادفاً لـ(الأدب الاسلامي) ، وقد استخدموا لهذا الغرض مصطلحات عديدة يمكن اجمالها على الوجه الآتي :

١- مصطلح (أدب الشرق المسلم) أو (آداب مسلمي الشرق) أو (آداب المسلمين) و(شعر عالم الاسلام) و (شعرالمشرق الاسلامي) .

٢- مصطلح (الأدب الأسلامي) بطبيعته العامة ، أو مصطلح (النثر الفني الاسلامي) أو (الشعر الاسلامي) بطبيعته الخاصة .

٣- مصطلح (الشعر الديني) وهو يفسر شعر المدائح النبوية والتوسل وتمجيد الاولياء[٥]. وقد ردّ بعض الباحثين هذه المصطلحات الاستشراقية بقوله : " وهذه المصطلحات البدائل التي يقدمها المستشرقون إنما تعبر عن مقاصدهم السالبة تجاه التراث الشرقي الذي يريدون إفراغه من محتواه الانساني العالمي فيعملون على تجزئته حينما ينفعهم معيار القسمة ، واحياناً يعملون على توحيده من اجل خلط التصورات والعقائد متعللين بالتداخل الحضاري وبوحدة الروح المحرك للحضارة الاسلامية وهو الاسلام .

إن صورة الاسلام لاتكمن في تراثه الوضعي ولافي حضارته العريضة وانما تكمن في مسانيده التشريعية المعتمدة من لدن الملة الاسلامية وهي القرآن والسنّة ، فما وافق هذين الاسنادين التشريعيين فهو موافق لروح الاسلام وما خالفهما فهو مخالف له ايضاً. أما ان نجعل الاسلام ثوباً فضفاضاً ولافتة يقبع خلفها خليط غير متجانس فكرياً وعقائدياً، فهذا هو منطق المغالطة الذي التزمه أغلب المستشرقين الغربيين "[٦] . وقد تأثر بهم بعض الباحثين العرب ممن يناهض مصطلح الادب الاسلامي ،ورأى" ان الأدب العربي يغني عن ذلك ، فالأدب العربي لدى هؤلاء كله اسلامي"[٧] وهذا تعميم غير منطقي والناظر في خريطة الادب العربي يعرف بداهة ان هناك أدباً يتعارض مع التصور الاسلامي خصوصاً أدب الدعوة الحزبية والأدب الماجن والغزل المكشوف والمدح التكسبي المبالغ فيه "[٨] وأدب الخمريات وغيرها من الاغراض المنافية لمباديء الاسلام واخلاقياته المعروفة فكيف يمكن أن تعدّ هذه الفنون المنحرفة أدباً اسلامياً ؟! وهي منتشرة في انحاء الأدب العربي على مرّالعصور . وبعد أن ترسخّت قناعة الخصوم بأن مصطلح (الادب العربي) لايصلح بديلاً عن مصطلح (الأدب الاسلامي) ، توالت

محاولاتهم لتشويه المصطلح الاخير بما نسبوا إليه من مفاهيم خاطئة حاربت المفهوم الحقيقي الجديد بهدف قتله واحتلال موقعه ، ومن ذلك ما صوّره بعضهم من مفهوم خاطيء للأدب الاسلامي " على أنه الادب الملقى في المناسبات الدينية وطقوس الموشحات واحتواؤه على لفظ الجلالة واسم الرسول (ص) أو اسماء الصحابة رضي الله عنهم أوما شاكل ذلك . والذين يتصورون الادب بهذه الصيغة لايقدرون الأدب والفن ولايتعظون بموقف الرسول (ص) لبنائه منبراً للأدب والشعر في مسجده الشريف . وعلى اية حال فواجب الادب الاسلامي أن يحرر نفسه من القيود اللاعقلانية التي أحيطت به "[٩] والاعتراضات التي توجّه بها اولئك المناوئون هي :

١- التعارض بين الابداع والدين ، والأدب ينسب للغة ولا ينسب للدين ، وإن نسبته للدين تخرج كثيراً من الادب العربي من هذا النطاق .

٢- إن الاسلام أكبر من ان يحصر بمصطلحات ضيقة باسم الأدب .

٣- إن إطلاق المصطلح سيؤدي الى قيام الآخرين بمعارضته ونقضه .

٤- إن إطلاق المصطلح سيوقعنا في حيرة أمام الطوائف والمذاهب الاسلامية المختلفة.

٥- إن هذا المصطلح سيسم الأدب الاسلامي بأنه أدب دعوة [١٠] .

ومن الواضح أن هذه الاعتراضات غير دقيقة ولا منطقية ، إذ يفتعل أولُها تعارضاً غير واقعي بين الابداع الادبي والدين خشية ضياع الجزء المرذول من الأدب العربي . اما بالنسبة للأعتراضات الاخرى " فالأدب ليس حصراً للأسلام وإنما هو تشخيص فني لنتاجه الذي ينحو منحىً إبداعياً وقيمياً . أما ان يعارض البعض المصطلح فهذه مسألة طبيعية نابعة من اطار المساءلة والنقاش المعرفي ، فالمصطلح ليس قدسياً بحيث لايحتمل التعديل اذا لزم الامر ، ثم إن المصطلح قد يستوفي مجمل الطروحات للمذاهب الاسلامية ما دامت متفقة على الثوابت الاعتقادية المفهومة من كلمة (اسلامية)البعيدة عن التعصب والتهذيب الايديولوجي . أما أن يؤدي المصطلح الى انتاج أدب الدعوة ، فهذه المسألة متعلقة بمنتجي هذا الأدب ومنظريه اذا ارادوا له ان يكون على هذه الشاكلة أم لا أما المصطلح فلا يتضمن أي اشارة الى هذا النوع من الانتاج الأدبي (ادب الدعوة) اذاما أُخذت شروط الابداع الأدبي بنظر الاعتبار" [١١] .

وهكذا تنوعت آراء الباحثين حول مصطلح الادب الاسلامي لما يتضمنه هذا المصطلح من تنوع في دلالته ، كما أنه يسمح بالمرونة والاتساع من حيث إنه " يرتبط بالكشف عن الحاجة الفكرية والادبية اليه والدور العقائدي المنوط به وبيان التطورات التي اسهمت في نموه، وتوضيح علاقته بغيره من الآداب والمذاهب والانساق المعرفية وجلاء دوره في منظومة الفنون والمعارف الانسانية"[١٢] ولايمكن تجريده من هذه المشخّصات التي تكوّن هويته الشخصية ، لأن مفهوم المصطلح في تطوره التاريخي" كائن حي ذو هوية كاملة تسجل ظروف ولادته وتطوره الدلالي ، ما يعترض هذا المفهوم أو يعتوره من صحة و

مرض وشحن وتفريغ ، وأول ما تصاب به الامم في أطوار ضعفها الفكري هو طمس مفاهيمها "[١٣] وهذا ما تعرض له مفهوم الادب الاسلامي على مدى العصور المنصرمة وبأسباب متعددة من سياسية واجتماعية وثقافية لايتسع المجال لبسط الحديث عنها .

ولكن حصيلة كل ذلك أن انتهى الينا مصطلح الادب الاسلامي في العصر الحديث محاطاً بهالة من الغموض والاضطراب " وعلى الرغم من النهضة الشاملة التي شهدتها حركة الادب الاسلامي فقد بقي المصطلح من الناحية النقدية في حاجة ماسة الى الدراسة والاثراء والمناقشة والتعمق لمعالجته معالجة علمية وموضوعية دقيقة"[١٤] ومن هنا فقد طرحت آراء متعددة حول هذا المصطلح واقترح بعضها مصطلحات بديلة ، وقد أجمل الدكتور سعد ابو الرضا نظرات الباحثين لمصطلح الادب الاسلامي على الوجه التالي :

١- إن بعض الباحثين منا مايزال يتعامل مع هذا التركيب ببعض الشك فيه ، إذ نرى أن هذا التركيب لايتضمن آداب شعوب اسلامية أخرى غير الأدب العربي . ومن ثم يقترح هذا البعض أن يكون هذا المصطلح (آداب الشعوب الاسلامية) .

٢- صفة (اسلامي) ركن اساسي في تركيب (الادب الاسلامي) وقد دفعت بعضاً منا الى تصور أن ذلك الادب الاسلامي لايصدر ولايُقبل إلاّ من المسلم الملتزم بدين الاسلام.

٣- وهناك من يريد تسمية الادب الاسلامي بـ(الادب المسلم) رائياً أنه بتلك الصفة (المسلم) يتجاوز النسبة النحوية في (الاسلامي) [١٥] .

وقد ناقش الدكتور صالح محمد العبيدي هذه النظرات ورأى أن هذه المشخّصات لواقع مصطلح الادب الاسلامي لاترقى الى مستوى الادراك التأملي العميق في خصوصية هذا المصطلح ورواجه بين المسلمين وغيرهم ودقة دلالته وصدق تعبيره عن محتواه التصوري ، ذلك ان هذا المصطلح يمكن ان ينظر اليه من جهة أنه يستوعب كافة المنتوجات الادبية الاسلامية لكافة الشعوب المتسمة بصفة الاسلامية . أما تسمية (آداب الشعوب الاسلامية) فإنها تسمية إقليمية قد تثير الضغائن والعصبية بين هذه الشعوب ، كما انها يمكن ان توحي بأن لكل شعب ادبه الخاص الذي يتوافق مع اعرافه وتقاليده فضلاً عن رؤيته الاسلامية ، وهذا ما يتنافى مع مفهوم (الاسلامية) الذي يؤكد على الوحدة والشمول والتوازن . اما بخصوص ان يكون الادب متعلقاً بالأديب الاسلامي اوغير الاسلامي فقد رأى الدكتورالعبيدي أن الاديب المسلم هو المعني الاول بهذا الأدب،اما الآخر فهو يدخل من باب المشاركة أو التضامن اذا تساوت المقاصد نحو تحقيق الاهداف النبيلة والفضائل الشرعية . واما تسمية (الادب المسلم) فإنها تسقط بداهة لأنها تسقط من حسابها خصوصية الادب عندما تكون صفة لذاته لا لموضوعه أو لمنشئه مما قد توحي بهما لفظة (إسلامي) لأن ياء النسب هي وصف للهوية لا للماهية"[١٦] . وأطلق بعض النقاد



الاسلاميين على دراساتهم للأدب الاسلامي تسميات اخرى – غير ما ذكرنا – في محاولة منهم لجعلها مصطلحات بديلة تتلافى الإشكالات المثارة حول مصطلح الادب الاسلامي ، ومنها مصطلح (الاسلامية) الذي اتخذه الدكتور نجيب الكيلاني عنواناً لكتاب الفه حول الادب الاسلامي " وهو مصطلح يوحي لنا بأن الكاتب أثبته ليضاهي به مصطلحات مثل الكلاسيكية والرومانسية والواقعية والرمزية وغيرها من مذاهب الادب الغربي . ويبدو أن هذا المصطلح لم يصادف هوى لدى الادباء والنقاد الاسلاميين لاستشعارهم المنحى الذي يجاري المذاهب الادبية الغربية ، ولذلك لم نقرأه عنواناً لأية دراسة من دراسات الدكتور الكيلاني بل إن الكيلاني نفسه هجر هذا المصطلح وآثر مصطلح (الادب الاسلامي) في كتبه التي الفها بعد كتاب (الاسلامية) ، ولنأخذ على ذلك مثلاً كتابه (مدخل الى الادب الاسلامي) الذي صدر في قطر عام ١٩٨٧"[١٧] .

وأما الدكتور أحمد بسام ساعي فقد وضع مصطلح (الواقعية الاسلامية) وجعله عنوان دراسة له عن الادب الاسلامي ،" وهذا العنوان ربما يستدرجنا الى عناوين أخرى مثل الرمزية الاسلامية والرومانسية الاسلامية ، وإن كان هذا الكاتب قد عرض بصدق وعمق موقف الاسلام من الواقعية الغربية وحدّد طبيعة الواقعية الاسلامية وخصائصها" [١٨] ولكن الناقد الاسلامي الدكتور شلتاغ عبود يختلف مع الدكتور ساعي في اطلاقه هذا المصطلح ويرجّح مصطلح الادب الاسلامي لأنه يعكس خصائصه بذاته دونما حاجة إلى وصفه بصفة خاصة بواقع الحياة الغربية في ميدان الفكر والأدب " فمثلما نحن إزاء عقيدة اسلامية ليست لها مواصفات العقائد الرأسمالية والشيوعية ومثلما نحن إزاء سياسة اسلامية ليست لها مواصفات السياسة الرأسمالية أو الاشتراكية كذلك نحن إزاء أدب اسلامي ليست له مواصفات أية رؤية فلسفية أخرى وإن حدث لقاء في بعض الأصول أو بعض الفروع فهو ليس لقاء في الأصول كلها ولا في الفروع كلها "[١٩] .

وبالاضافة الى ما سبق فقد استخدم الدكتور عمر الطالب مصطلح (المعيار الاسلامي) بدل الادب الاسلامي ، وأكد على أن الادب الاسلامي بوصفه معياراً يعني ضمناً أن هذا الادب لايشكل مدرسة أو مذهباً لأن المعيار الاسلامي – كما يراه الطالب – رؤية ترتبط في اساسها بالاسلام ويهدف الى ابرازأدب يحمل قيماً اسلامية ترتبط في عمقها بالنص القرآني [٢٠] . وأقر الدكتور صالح محمد العبيدي تسمية (المعيار) ورآها دقيقة الى حد كبير معّللاً ذلك بأن " الادب الاسلامي ما زال متقوقعاً حول مفهوم الالتزام المحض ولم يتوسع زمنياً ولا كمياً بحيث يتاح له ان يؤصّل له نظرية عامة تعبر عن افكاره وقواعده النظرية ونتاجاته الادبية ، إذ مازال الخلاف الى الآن حول سعة المرجعية التصورية لهذا الادب : هل هي كامنة في المسانيد التشريعية (القرآن والسنة) أم يمكن الاستعارة عن مذاهب ايديولوجية أخرى "[٢١] . وقد دفعت مسألة الآخر (غيرالاسلامي) بعض النقاد الاسلاميين إلى وضع دوائر متمايزة للأدب



، يتحدد من خلالها موقع الأدب الإسلامي ، كما نجد ذلك عند الدكتور عبد القدوس أبو صالح الذي شخص ثلاث دوائر أدبية في تحديد مفهوم الادب الإسلامي ، وهي :

١- دائرة الادب الملتزم بالتصور الإسلامي . ولا تقتصر هذه الدائرة على أدب الدعوة الإسلامية بل تتسع لتشمل أي موضوع يعالجه الاديب من خلال التصور الإسلامي للكون والانسان والحياة .

٢- دائرة الادب المباح .وهو أدب لا يلتزم التصور الإسلامي ولكنه مع ذلك لا يخالفه وتتسع هذه الدائرة للادب الجمالي أو أدب التسلية والترويح عن النفس .

٣- دائرة الادب الذي يخالف التصور الإسلامي ويضاده . وهو أدب العقائد والأيديولوجيات المنحرفة عن الإسلام أو أدب الجنس والعبث والحداثة المدمرة.[٢٢]

وبأثر من هذه الدوائر الادبية المتمايزة ، اقترح الاستاذ محمد إقبال عروي مصطلح (الأبعاد الضمنية) للإسلامية ، فيما يخص الاعمال الادبية التي ينتجها غير الملتزمين بالاسلام ، ذلك ان أعمالهم لا تتضمن الاسلامية وانما تحتوي على أبعادها،وهذه الابعاد ضمنية وليست صريحة ، ومن هنا يشخص الاستاذ عروي ثلاث دوائر للادب هي:

١- دائرة الادب الإسلامي .

٢- دائرة الابعاد الضمنية للاسلامية.

٣- دائرة الادب غير الإسلامي [٢٣]

ولا تختلف هذه الدوائر في واقعها عن الدوائر الثلاثة التي حددها الدكتور أبو صالح ، سوى اختلاف التسمية للدائرة الثانية التي أصبحت مثاراً لاختلاف النقاد في توسعة مصطلح الادب الإسلامي أو تضييقه ، إذ تنازعه طرفان "الاول : يطلق هذا المصطلح على الادب الذي يدور في فلك تصور الإسلام للكون والحياة والانسان ويصدر من أديب مسلم . ومن أنصار هذا التوجه : نجيب الكيلاني في كتابه : مدخل إلى الادب الإسلامي ، ومحمد حسن بريغش في كتابه : في الادب الإسلامي المعاصر ، وعبد الباسط بدر في كتابه : مقدمة لنظرية الادب الإسلامي ، وأحمد محمد علي في كتابه : الادب الإسلامي ضرورة ، وعدنان النحوي في كتابه : الادب الإسلامي – إنسانيته وعالميته ...[٢٤] وعبد الرحمن رأفت باشا في كتابه : نحو مذهب اسلامي في الادب والنقد . الثاني :

يطلق هذا المصطلح على الادب الذي يلتقي مع تصور الإسلام للكون والحياة والانسان سواء صدر من أديب مسلم أو غير مسلم . ومن أنصار هذا التوجه : محمد قطب في كتابه : منهج الفن الإسلامي ، وابراهيم عوضين في كتابه : مدخل اسلامي لدراسة الادب العربي المعاصر ، وسعد أبو الرضا في كتابه : الأدب الإسلامي . قضية وبناء "[٢٥] حيث يعتقد أن النتاج الأدبي وإن امتاح من قيم الإسلام ومثله، فهو ليس خاصاً بالمسلمين فحسب مبدعين ومتلقين لأن دعوة الإسلام عامة لكل البشر ورسالته



خاتمة الرسالات ، كما يقول :" نتصور أن اي نتاج أدبي يصدر عن هذه القيم الاسلامية ويدور في فلكها إنْ هو إلاّ ممثل لهذا الاتجاه ، ونحن حينئذ إنما ننظر إلى ماقيل لا إلى مَن قال . وتلك وجهة نظر يقابلها رأي من يرى ان الأدب الإسلامي هو ما انتجته عقول الادباء المسلمين الملتزمين في فكرهم بالاسلام ومنهجه ونظرته إلى الحياة والاحياء لكننا نعتقد ان في هذا المنحى تضييقاً لمجال يجب ان يتسع ، فالنتاج الأدبي الذي يصدر عن الإسلام وقيمه أعم وأشمل من ان يختص بالكتّاب المسلمين "(٢٦) ، وقد أقترح الدكتور محمد سالم سعد الله مصطلح (الأدب الإنساني) لانتاج اولئك الادباء من غير المسلمين ، حيث يقول:" والذي نميل اليه التوسعة في تنوع المصطلح .

فمع وجود الادب الإسلامي بوصفه مصطلحاً تندرج تحته كل الآداب التي تقدم التصور الإسلامي للكون والحياة والانسان وتصدر عن أديب مسلم ، مع ذلك نقترح مصطلحاً آخر يشكل جزءاً من المصطلح الاول ، والمصطلح المقترح هو (الادب الإنساني) الذي من الممكن ان يندرج تحته الابداع الذي يصور هموم الانسان وقضاياه المختلفة فضلاً عن رؤية هذا الانسان لأحوال الموجودات وابداع الخالق مع ما يتفق والتوجه الإسلامي "(٢٧) ومن الواضح ان مصطلحات (الادب الإنساني) و(الادب المباح) و(ادب الابعاد الضمنية) وما يماثلها من مصطلحات كانت في حقيقتها محاولات توفيقية بين الطرفين المتنازعين في تضييق مصطلح الادب الإسلامي أو توسعته ، لكن رغم تلك المحاولات فقد استقر مصطلح الادب الإسلامي بمفهومه الاعتقادي الملتزم بمبدأ الإسلام ، بل أصبح "راسخ القدم في أدبنا المعاصر وحقيقة ثابتة في واقعنا الادبي ، ولم يعد موقف التجاهل والاستنكار أو الجحود والانكار ، مقنعاً ولا مجدياً ، وستعرف الكتابات المتشنجة التي تعارض الادب الإسلامي مصيراً ليس أقله الاهمال .

وقد انتقل بعضهم من وصف الاستهجان إلى التساؤل إلى القبول إلى التبني . وككل ظاهرة جديدة تبدأ شيئاً يثير العجب والتساؤل ، ثم مايلبث أن يألفه الناس ويرتاحوا إليه ، كذلك كان حال الادب الإسلامي المعاصر ابداعاً ونقداً "(٢٨) ولا يقتصر هذا المصطلح – بمفهومه الملتزم –على الادب الحديث بل هو ضارب بجذوره في اعماق التراث الاسلامي رغم عدم إطلاقه في فترات التاريخ المنصرمة ، إذ " لم يكن عند العرب أول الامر ولاعند انطلاقة الدعوة الاسلامية عُرف يقضي بوضع التعريف او المصطلحات ... فلا عجب أن لانجد مصطلح الادب الاسلامي آنذاك أو مصطلح الادب الملتزم بالاسلام وان لانجد تعريفاً له ، فلم يكن العرف مبالياً كثيراً بالمصطلح أو التعريف وإنما كان يقدّم الخصائص الثابتة والسمات البيّنة من ناحية ، ومن ناحية اخرى لم يكن الاسلام يتبنّى غير أدبه وخاصة في مدرسة النبوة الخاتمة وسنتها وعهد الخلفاء الراشدين وسنتهم مما أُ مرنا أن نعضّ عليه بالنواجذ . فلا مجال إذن لاعتراض بعض الحداثيين اليوم على مصطلح الادب الاسلامي وانكارهم له وادعائهم بأنه لم يكن لدى العرب هذا المصطلح قديماً ولذلك لم يكن هناك أدب اسلامي . نعم لم يكن هذا المصطلح ولاغيره ، ولكن

كانت هناك خصائص مميزة وسمات دالة ، وكلها تنطق وتقول : هذا هو الادب الملتزم بالاسلام . هكذا كان العُرف المتبع في الادب وغيره ، ونحن اليوم في عصر يتميز بفن المصطلحات التي اصبحت علماً ليتميز شيء من شيء بعد ان اختلطت الاشياء وبهتت الخصائص وضعفت السمات وبرزت مذاهب أدبية عديدة . ولذلك برزت ظاهرة المصطلح والتعريف كلما احتاج اليها الناس .

وفي حاضرنا اليوم برز مصطلح الادب الاسلامي أو الادب الملتزم بالاسلام وبرز المنادون به وكان لابدّ من ذلك ليتمايز أدب من أدب"(٢٩) . ولايعد ذلك بدعاً في عصرنا الحديث بعد أن وضع المسلمون مصطلحات اخرى وثيقة الصلة بقيم الاسلام الكبرى مثل الفقه الاسلامي والاقتصاد الاسلامي والحكم الاسلامي والتاريخ الاسلامي وغيرها ، فالاسلام هو الاب الشرعي لجميع هذه العلوم ومن هنا فإن مصطلح الادب الاسلامي هو المصطلح الطبيعي والمنطقي لما افرزته القيم الاسلامية من ادب على مرّ العصور .

بالاضافة الى ان الفلسفات الكبيرة كلها – بغض النظر عن صوابها أو خطئها – أفرزت آداباً سميت بأسمائها ، كالأدب الوجودي والادب الاشتراكي أو الماركسي أو الواقعي الاشتراكي والأدب العبثي وأدب اللامعقول ، وحتى الرومانسية والكلاسيكية والرمزية والطبيعية وغيرها ، كلها نبتت في ارضية فلسفية معينة ، فلا نرى لوناً من الوان الادب في اوربا مثلاً إلاّ وارتبط تنظيره بفيلسوف من الفلاسفة المحدثين أو القدامى واذا كانت العلاقة بين بعض المدارس الادبية والفلسفة التي تنتمي اليها علاقة تبدو أحياناً مخلخلة أو مفتعلة أو متناقضة أو غيرمقنعة ، فإن علاقة الادب الاسلامي بأبيه الشرعي الاسلام علاقة عضوية وثيقة لايمكن فصمها إلاّ في الفترات الشاذة العصيبة في عصور الجهل الايديولوجي والمحن السياسية والاستعمارية (٣٠) التي انتجت – على مر التاريخ – ادباً جاهلياً يعبر عن (الجاهلية) " التي هي حالة تصحب مسيرة الحياة الانسانية حينما تبتعد عن منهج الخالق الباريء المصور وتتبنى مفاهيم وضعية بشرية. ومثلما تكون الجاهلية (حالة) وليست مرحلة تاريخية محددة كما هو معروف ، كذلك فالأدب الجاهلي لايخصّ ادب مرحلة معينة من التاريخ بل يرافق كل مرحلة تكون الجاهلية سائدة فيها ، فهو حالة قد تكون معبرة عن أدب ما قبل الاسلام أو ادب العصر الحديث في أوربا أو في العالم الاسلامي المتأثر بالمفاهيم الاوربية " (٣١) .

وإن مصطلح الادب الاسلامي – بمفهومه الملتزم – يقف قبالة هذا الادب الجاهلي معبراً عن (الاسلامية) التي هي حالة لمسيرة الحياة الانسانية على منهج الخالق سبحانه وتعالى بالتزام مفاهيم الاسلام الالهية ، وليست هي مرحلة تاريخية محددة بعد صدر الاسلام أو غيره من العصور بل هي ممتدة في حياة البشر منذ ظهور الاسلام وحتى وقتنا الحاضر ، وبناء على هذا يكون الادب الاسلامي حالة ايضاً تعبر عن التزام الاسلام واتخاذه منهجاً في الادب ابداعاً ونقداً وهذا هو المفهوم الذي استقر



عليه مصطلح الادب الاسلامي في معظم الدراسات النظرية والنقدية التي قدمها النقاد والادباء الاسلاميون في العصر الحديث ، فهو يمثل نظرية في الادب ومذهباً في الابداع الادبي ، كما عبر عن ذلك الدكتور محمد مصطفى هدارة بقوله:" فاذا دعونا الى أدب اسلامي عنينا به مذهباً ادبياً له خصائصه الفكرية والفنية التي تعبر عن شخصيتنا الاسلامية وتراثنا ، وقاعدته الفكرية التي ينطق منها هي الاسلام وهو ارقى واشمل في نظرته للكون والانسان من كل الفلسفات المثالية والعقلية والمادية التي قامت عليها المذاهب الادبية المختلفة ، وهو لاينبع من تعصب فكري ولايؤمن بالمفارقة بين ما تدعو اليه العقيدة من التزام ديني وما يدعو اليه الفن من انطلاق وتحرر لتحقيق الجمال ومتعة الذوق " (٣٢)

أما اولئك الذين يصرّون على رفض هذا المصطلح وحصره في سجن فترة من الناريخ السحيق ، فإنهم في الحقيقة يخدمون اهدافاً ومصالح بعيدة عن الاسلام وقد جاءت معظم دراساتهم النقدية والتاريخية للأدب تحمل رؤية ناقصة ومشوشة إن لم نقل محرفة رغم ادعاء بعضهم بالانتساب الى الاسلام أو اتخاذه صبغة لتلك البحوث والدراسات .

أما فيما يخص تعريف الأدب الاسلامي فقد كان سيد قطب رائداً في إطلاق مفهومه الحديث بأنه "التعبير الناشئ عن امتلاء النفس بالمشاعر الإسلامية "(٣٣) وتأكد هذا المفهوم على يد محمد قطب في دراسته الموسعة عن الفن الإسلامي وتعريف الأدب الإسلامي من خلاله بأنه " التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان "(٣٤) . وقد ذكر الدكتور صالح آدم بيلو هذين التعريفين ثم قال : " ويكاد الكاتبون والباحثون الذين خاضوا في هذا الموضوع للوصول إلى تعريف موحد للأدب الإسلامي ، لا يخرجون عن ذلك إلا في بعض ألفاظ وعبارات "(٣٥) ومن ذلك ما ذكره الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا في تعريفه الأدب الإسلامي بأنه التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب تعبيراً ينبع من التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته "(٣٦) .

وما ذكره الدكتور نجيب الكيلاني في تعريفه بقوله " هو تعبير فني جميل مؤثر نابع من ذات مؤمنة مترجم عن الحياة والإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم وباعث للمتعة والمنفعة ، ومحرك للوجدان والفكر ، ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما "(٣٧) وما ذكره الاستاذ محمد حسن بريغش بقوله : " الأدب الإسلامي هو الأدب الذي يعبر عن التصور الإسلامي في الحياة بكل أبعادها وألوانها . وهو الأدب الذي يحمل رأي الإسلام ويوافق شرع الإسلام ولا يخرج عن إطاره مهما تكن الأسباب "(٣٨) وأعاد هذا التعريف بصياغة أخرى في قوله : " أدب متميز لا يبدعه إلاّ أديب إسلامي موهوب ولا يتذوقه إلاّ سويّ الفطرة ولا يتشكل ويتكامل إلاّ عبر التجربة الأدبية التي يخوضها الأدباء الإسلاميون أنفسهم ، ولا تحدد شروطه و موازينه وأساليبه وأشكاله إلاّ من خلال التصور الإسلامي الواضح الشامل

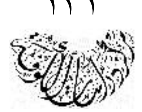


والتجربة الواقعية الحية للأديب المسلم "(٣٩) ، ويدور في فلك هذه التعريفات قول الدكتور عماد الدين خليل :"يمكن تعريف الأدب الإسلامي بإيجاز بالغ بأنه تعبير جمالي مؤثر بالكلمة عن التصور الإسلامي للوجود. وستكون التجربة الإسلامية المنبثقة عن التصور الإسلامي مندرجة ضمناً في سياق هذا التعريف"(٤٠) . وقدم الدكتور خليل شرحاً لهذا التعريف يصلح أن يكون بياناً وتوضيحاً للتعريفات السابقة أيضاً حيث قال:" فنحن – إذن – إزاء ركنين أساسيين يتضمن كل منهما عناصر فرعية.

أولاً : التعبير الجمالي المؤثر بالكلمة . ولابد– إذن – أن يتحقق التعبير بالكلمة وليس بأية أداة أخرى ، وان يملك جماليته الخاصة وقدرته في الوقت نفسه على التأثير،على توصيل الشحنة الفنية إلى الآخرين وإحداث الهزة المرجوة فيهم .

ثانياً : التصور الإسلامي للوجود . ولابد – إذن – أن يملك الأديب المسلم فلسفة أو تصوراً أو موقفاً شمولياً إزاء الكون والحياة والإنسان ، وأن ينبثق هذا التصور الذي يطبع التجربة الذاتية طولاً وعرضاً وعمقاً ، عن الإسلام المتميز المتفرد المبين وأيّ إغفال لواحد من هذين الركنين وأيّ تجاهل لأحدى العناصر التي يتضمنانها سوف يخرج بالعمل الأدبي – ولا ريب – عن كونه أدباً إسلامياً "(٤١) .

وقد استوحى هذه التعريفات الاستاذ محمد الحسناوي في تعريفه الأدب الإسلامي بقوله :" هو التعبير الموحي عن قيم الإسلام الحية التي ينفعل بها المسلم وتنبثق عن تصور الإسلام للحياة والارتباطات فيها بين الإنسان والله تعالى وبين الإنسان والكون وبين بعض بني الإنسان وبعض"(٤٢). وقدم الدكتور علي علي صبح تعريفاً آخر لحقيقة الأدب الإسلامي بقوله : "هي التجربة الشعورية التي تنبع من الوجدان والخـواطر المفعمة بالقيم الإسلامية في بناء فني يعتمد على وسائل التأثير والإقناع من الألفاظ الفصيحة والأسـلوب البليغ والنظم الدقيق والتصـوير المحكم بالخيال والعقل معاً والاتساق في الإيقاع المتدفق بأشكاله المتعددة سواء أكان وزناً وإيقـاعاً في الشعر أو نمواً وتطوراً في الأحداث كالقصة والأقصـوصة أو قصراً في العبارات والجمل كأنواع المقالة الأدبية"(٤٣). وركّز الدكتور عبد الحميد بوزوينه في تعريفه الأدب الإسلامي على جوهر عملية الإبداع الفني فيه حيث قال:" إن المنهج الإسلامي في عالم الأدب يعرف لنا الإبداع الفني بأنه عملية استنطاق الكون بأسره و إشراكه في التعبير والتصوير ، ولن يكون هذا إلاّ بعد أن تغوص نفس الأديب المسلم في أعماق الكون وجوانبه العريضة وأطرافه الشاسعة فيأتي بعد ذلك معبراً عن العلاقة الحميمة التي تربط الإنسان بالكون عارضاً أمامنا مالا يحصى من الأسرار والحقائق... فالأساس في هذه العملية الإبداعية هو قدرة الأديب على تشرّب الموضوع وحسن تمثّله في أعماق شعوره ليظهر بعد ذلك في ثوب قشيب تتبدل ألوانه وأشكاله الجميلة من عمل أدبي لآخر"(٤٤) وقد انتقد الدكتور محمد اقبال عروي مجمل التعريفات السابقة ورأى أنها "تقع في خطأ منطقي ، فهي تعرف (العام) بشيء أعم منه ، فالأدب الإسلامي عامّ يعرّف بالرؤية الإسلامية أو التصور الإسلامي الذي هو



أعم منه وأشمل.. وبعض التعريفات لا تجيب بدقة عن موضوع الأدب الإسلامي"[٤٥]. وهذا الاعتراض ليس موضوعياً في الواقع ، لأنه يُغفل جانب التعبير في التعريفات السابقة التي أكّدت على أن الأدب الإسلامي تعبير عن التصور الإسلامي وليس هو التصور الإسلامي ذاته ، ومن المعلوم أن كلمة (تعبير) تقيّد عموم التصور بخصوصية الأديب المعبّر مما يمنح الأدب الإسلامي طابع التنوع وتعدد الأشكال والأساليب .

أما بالنسبة لموضوع الأدب الإسلامي فمن الواضح أن مفرداته وحيثياته الكثيرة منطوية تحت عبارة (الكون والإنسان والحياة) الواردة في جميع التعريفات السابقة . ولذلك لا نجد فيها ذلك القصور المنطقي الذي رآه الاستاذ عروي ، وقدّم على أثره تعريفاً للأدب الإسلامي لا نراه يختلف بشيء عن التعريفات السابقة ، حيث قال:" الأدب الإسلامي تعبير فني وجمالي يعتمد على مختلف الأشكال المتاحة والممكنة في معالجة قضايا الحياة وفق تصور الأديب ورؤيته الإسلامية "[٤٦] ، ومن البيّن أن جميع مفردات هذا التعريف مذكورة في التعريفات السابقة ، فلا يعدّ هذا تعريفاً جديداً وكذلك انتقد الدكتور عدنان علي رضا النحوي عامة التعريفات المقدمة للأدب الإسلامي ورأى "أن كل تعريف ركز على ناحية محددة دون أن يبيّن ماهية الأدب بعامة والأدب الملتزم بالإسلام بخاصة .

ولم يكن هذا ناتجاً إلاّ عن طبيعة التعريف لموضوعات تتعلق بالعلوم الإنسانية ، حيث لا يمكن للتعريف أن يحدّد الموضوع تحديداً كاملاً كما يحدّده في العلوم التطبيقية ... ذلك لأن العلوم التطبيقية تقوم على قانون أو نظرية أو فرضية تتمثل بمعادلة رياضية أو فيزيائية أو كيميائية والعلوم الإنسانية تعتمد على خصائص ووسائل وأساليب وأهداف لا يتحدد العلم الإنساني إلاّ بها . فالتعريف بجمل محدودة وأسطر محدودة لا يستطيع أن يجمع ذلك كله ولكن يمكنه أن يشير إليها ليوفى أكثر في بيان التصور"[٤٧] وبسبب هذه الصعوبة في الوصول إلى تعريف جامع مانع ، اعتقد الدكتور النحوي بأن المناسب أن تُبيّن الأسس التي يقوم عليها تعريف الأدب الإسلامي وما يشير إلى منطلقه وولادته المتميزة وخصائصه لتكوّن كلها الميزان الذي يحدّد ماهية الأدب الإسلامي وجوهره ورسالته وأهدافه ، ومن هذا المنطلق فقد حاول أن يضع تعريفاً آخر بقوله: "الأدب الإسلامي هو ومضة التفاعل بين الفكر والعاطفة في فطرة الإنسان مع حادثة أو أحداث في رعاية الإيمان والتوحيد حين تدفع الموهبة الأدبية هذه الومضة موضوعاً فنياً ينطلق على أسلوب التعبير باللغة ممتداً في أغوار النفس الإنسانية والحياة والكون والدنيا والآخرة ، مع عناصره الفنية التي يهب كل منها الأسلوب قدراً من الجمال الفني ليشارك الأدب الأمة في تحقيق أهدافها الإيمانية الثابتة والمرحلية وليساهم في عمارة الأرض وبناء حضارة إيمانية طاهرة وحياة إنسانية نظيفة ، وهو يخضع في ذلك كله لمنهاج الله الحق المتكامل قرآناً وسنة "[٤٨] .

ويبدو لي أن هذا التعريف – رغم ما فيه من طول – لا يفي بكل خصائص الأدب الاسلامي ومقوماته ، إذ يكتنف بعض مفرداته التعميم والغموض كما في (ومضة التفاعل) و(الموهبة الادبية) و(العناصر الفنية) فهذه العبارات عامة في الادب الاسلامي وغيره ولا نجد في التعريف ما يخصصها بوصفها مقوّمات ذاتية للأدب الاسلامي وهنا نعود الى صعوبة التعريف التام التي اعترف بها الدكتور النحوي نفسه، وكذلك اعترف أغلب النقاد الذين حاولوا استقصاء الآراء في تعريف الادب الاسلامي مثل الدكتور جابر قميحة [٤٩] الذي اكّد صعوبة وضع تعريف جامع مانع للأدب الاسلامي كما هو الحال في عامة العلوم الانسانية .

والملاحظ على هذه التعريفات أنها تتخذ شخصية الاديب المسلم وعمق ايمانه بمبدأ الاسلام ، اساساً في انتاج الادب الاسلامي ، وهذا مايجعل الالتزام شرطاً في الحكم على إسلامية الأدب ، فلا يدخل فيه ما ينتجه الادباء غير الاسلاميين من ادب يختلط ببعض تصورات الاسلام او يلتقي معها في جهة من الجهات ، إذ يبقى مثل هذا الادب بعيداً عن حقيقة الادب الاسلامي ، وهذا ما أكده اغلب النقّاد الاسلاميين ومنهم الاستاذ محمد حسن بريغش حيث يقول :"لا أتصورادباً اسلامياً ينتجه الضائعون الذين تلتبس عليهم الصورة ، فيخلطون بين الوثنية والاسلام ويخلطون بين شرع الله وتخبطات البشر في الآراء والفلسفة .الادب الاسلامي ادب ينبع من الاسلام والمسلمين ،له سماته وله صوره وله أشكاله وأساليبه ،قد يلتقي مع هذا المذهب أو ذاك في نقطة أو نقاط ولكنه يبقى إسلامياً ويبقى ذاك غير اسلامي ... وحين نقوّم ادبنا الاسلامي ونكتب تاريخنا الاسلامي ، نقوّمه على اسس إسلامية وليس على اسس جاهلية .

وعندما لاتهمنا تلك الاشكال ولا تخدعنا الاسماء البراقة والغوايات التي نصبت كالاوثان وعبدها النقاد من الغرب والشرق ، بل نخلص من ادبنا وتاريخنا وقيمنا الى أشكال وصور اسلامية حقيقية ، عندها نقول للناس هذا هو الادب الاسلامي"[٥٠]. ونجد هذا التأكيد على شخصية الاديب المسلم واثرها في إبداعه الادبي ، عند الدكتور عبد الحميد بوزوينه في قوله : "فالابداع الفني الادبي هو عملية نفسية شعورية ، بيد أن الملاحظة الهامة التي تقيد عموم كلامنا هي أن النفس المبدعة– في منظور الاسلام– يجب أن تكون مشبعة بالتصورات والمشاعر الاسلامية بعد أن تفرغ من الاوساخ والمعتقدات الجاهلية العفنة... والخلاصة أن الابداع الادبي عملية هامة وجليلة لا يحسن القيام بها والتحكم في مراحلها وادوارها غير الاديب المسلم الذي تمثل كل التمثل تعاليم الدين الحنيف وتمكن من تسخير واستثمار كل ادواته وملكاته وقدراته الادبية المختلفة"[٥١] ونجد هذا التأكيد ايضاً لدى الناقد الاستاذ حبيب آل جميع إذ يقول :" فالانتاج الادبي على ضوء رسالة الاسلام ، لا يتم إلاّ بعد استقرار الاسلام في وجدان الانسان حتى ينفعل به ثم يبلغ مرحلة المعاناة التي تليها مرحلة التعبير .



واما اذا كان الاسلام الفطري – في وجدان الانسان – دفيناً تحت ركام من المفاهيم الاجنبية ، فلا يمكننا أن نطلق عليه ادباً اسلامياً اطلاقاً لأننا عندما نطلق على الادب سمة الاسلام ، لا نقصد به سوى الادب الذي ينظر الى الكون والحياة والاشياء بمنظار الاسلام فيحب ويكره ويضحك ويبكي ولكن من خلال التصور الاسلامي لا من خلال التصورات الدخيلة فلابد هنا من تركيز روح الاسلام وحيويته في نفس الأديب "[٥٢] ويلعب هذا الارتباط الوثيق بين نفس الأديب المسلم وابداعه الأدبي ، دوراً مهماً في استقلال الأدب الاسلامي وتحديد مقوماته الذاتية وعدم انسياقه في تيار التقليد والتبعية الذي جرف معظم نتاجات الادباء العرب في العصر الحديث رغم انتمائهم الظاهري ـ بحسب هوياتهم الرسمية - الى دين الاسلام .

فراحوا يخوضون في ادب الجنس والعنف والعبث واللامعقول وغيرها من مذاهب الادب وتياراته الباطلة، ولذلك لا يستطيع الناقد المنصف أن يصف أحد هؤلاء الادباء بأنه أديب إسلامي او حتى مسلم فالأديب المسلم هو من التزم بتعاليم دينه وعبّر في ادبه من خلال ايمانه العميق وصدر فيما يقول عن نفس مشبعة بروح الاسلام وحقيقته الابدية الخالدة والاديب المسلم عليه –
بجانب هذا – تبعات ومسؤوليات جسام تكون حلقة في عنقه حتى يؤديها بأمانةٍ وصدقٍ واخلاص وتجرد لعل في مقدمتها "أن يجعل ادبه ادب بناء لا ادب هدم وينبوع خير لا شر ، ورسالة اصلاح لا تخريب وأن يكون له اثر في الحياة بعد مماته مما يحمده عليه الاسلام ويدعو به له المسلمون فالدين الاسلامي دين عبادة ودين حركة وعمل وليس بدين ركود وجمود ، دين التزام بخط معين ووجهة مرسومه في الحياة ، وليس بدين تذبذب وتبعية وتقليد ، والاديب المسلم يجب أن تتوافر فيه الشخصية المسلمة المثالية وتتكامل في نفسه عناصر الاسلام ومقوماته، وإلاّ يكون كالريشة في مهب الريح تتقاذفه الاهواء وتتوزعه التيارات الفكرية والصراعات العقائدية ، بل يكون له رأي مستقل وفكرة محددة واعية وأن يكون تعبيره عن الحياة والانسان والكون والطبيعة وماوراء الطبيعة نابعاً من تمثله بالاسلام اصدق تمثل ومنطلقاً من خلال تصورات اسلامية .

وبهذا يكون الادب اسلامياً له استقلاله وشخصيته وخصائصه وسماته التي يمتاز بها، وبغير هذا يكون ادبنا ادب تقليد وتبعية ادب تذبذب وتقهقر ، ادب موت وفناء ، ادب تسلية ولذة" [٥٣]. وعلى هذا فالادب الاسلامي لا يكتسب تعريفه الأصحّ حتى يضاف اليه شرط الالتزام النابع من شخصية الأديب الملتزم بحدود الاسلام في انتاجه الادبي ، وهي حدود تتناسب مع تكوين الانسان ووظيفته العبادية في هذه الحياة منها حدود العقل البشري التي يستطيع – بالوقوف عندها – معرفة الحق والخضوع له ، أما حين يتجاوزها فإنه معرض للسقوط في الضلال والمتاهات . وبهذا يجب أن يكون الادب موضوعياً محدوداً بطاقة العقل وقدرات الانسان . وهناك حدود الفطرة السليمة التي تدفع الانسان الى الايمان بالله وشريعته

المتممة لمكارم الاخلاق ، ويجب على الأدب أن يلتزم هذه الفطرة بعيداً عن سموم المذاهب الغربية المادية التي شاع فيها الالحاد والمجون ومناهضة القيم والاخلاق .

بالاضافة الى هذا فإن هناك إطاراً شاملاً للادب الاسلامي هو حدود الشريعة التي تحفظ للاديب دينه وعقله وتشكل شخصيته المميزة وتمكنه من حمل رسالته وادائها (٥٤) وليس من مجافاة او تعارض بين هذه الحدود وطبيعة الادب بشكل عام . فمادام الادب يمثل الحياة ويصورها فهو يصل بالانسان الى فهم ظواهر الحياة وتذوق كيفياتها (٥٥) من خلال ما يقدمه من تفسير شعوري لها ،" هو منبعث عن المنبع الذي تصب فيه جميع الديانات والفلسفات والتجارب والمؤثرات ،في بيئة من البيئات ، وهو من أشد المؤثرات في تكوين فكرة وجدانية عن الحياة وفي طبع البشرية بطابع خاص" (٥٦). لأنه - كبقية الفنون – تعبير موح عن تجربة شعورية ناتجة من انفعال ضمير الأديب بالقيم التي يعيشها ، ومن غير الممكن فصل هذه القيم عن الفلسفة العامة للحياة التي يعتنقها الاديب فينفعل بها عقله الباطن ويتلوّن ادبه بلونها من حيث يشعر او لايشعر وبما أن الاسلام فلسفة معينة للحياة ، فلابد أن تنبثق منه قيم خاصة ينفعل بها ضمير الاديب المسلم فيخلع طابعه المتميز على أدبه (٥٧). بقي أن نشير إلى أن بعض التعريفات المطروحة للادب الاسلامي تبتعد كثيراً عن خصوصية هذا الادب وسماته الذاتية ، ومنها تعريف الاستاذ الشاعر محمد المجذوب في قوله :" إن الادب الاسلامي هو الفن المصور للشخصية الانسانية من خلال الكلمة المؤثرة "(٥٨) فيلاحظ على هذا التعريف اتساعه وشموله لجميع الآداب الانسانية وعدم الاهتمام بالخصائص المميزة للادب الاسلامي عن تلك الآداب ولذلك لايصلح أن يكون هذا تعريفاً وافياً للادب الاسلامي الملتزم ، بل ربما ادعاه بعض من يرى توسيع دائرة الادب الاسلامي ليشمل إنتاج الادباء من غير المسلمين حين يكون لانتاجهم طابع انساني يلتقي بانسانية الادب الاسلامي .

وقد أشرنا فيما سبق الى أن هذا اللقاء المؤقت بين الادبين لا يجعلهما شيئاً واحداً ، ولا يكون مبرراً لوضعهما في محل واحد او مرتبة واحدة على حدّ سواء . بل يبقى الادب الاسلامي متميزاً بميزة الالتزام مستقلاً بانطلاقه من قاعدة التصور الاسلامي الشامل والمترابط للانسان والكون والحياة .

ملخص البحث :

لقد طرحت آراء متعددة حول مصطلح الأدب الاسلامي تراوحت بين القبول والرفض واقترح بعضها مصطلحات بديلة ، مثل (آداب الشعوب الاسلامية) او (الادب المسلم) أو(الاسلامية) أو(الواقعية الاسلامية) أو(المعيار الاسلامي) وغيرها .

وقد ناقش بعض النقاد الاسلاميين هذه المصطلحات البديلة فرأوا أنها لاترقى الى مستوى الادراك التأملي العميق في خصوصية مصطلح (الأدب الاسلامي) ورواجه بين المسلمين وغيرهم ودقة دلالته وصدق تعبيره عن محتواه التصوري . وقد دفعت مسألة الآخر (غيرالاسلامي) اولئك النقاد إلى وضع دوائر متمايزة للأدب ، يتحدد من خلالها موقع الأدب الإسلامي ، فشخص بعضهم ثلاث دوائر أدبية في تحديد مفهوم الادب الإسلامي وهي : دائرة الادب الملتزم بالتصور الإسلامي ، ودائرة الادب المباح أو الانساني ، ودائرة الادب المضاد للتصور الإسلامي .

وأقترح بعضهم مصطلح (الأدب الإنساني) أو (ادب الابعاد الضمنية) لانتاج اولئك الادباء من غير المسلمين ، محاولة للتوفيق بين الطرفين المتنازعين في تضييق مصطلح الادب الإسلامي أو توسعته ، لكن رغم تلك المحاولات فقد استقر مصطلح الادب الإسلامي بمفهومه الاعتقادي الملتزم بمبدأ الإسلام ، بل أصبح راسخ القدم في أدبنا المعاصر وحقيقه ثابتة في واقعنا الادبي ، ولم يعد موقف التجاهل والاستنكار أو الجحود والانكار ، مقنعاً ولا مجدياً ، وقد أصبح الاهمال هو مصير الكتابات المتشنجة التي تعارض الادب الإسلامي ، ذلك المصطلح الطبيعي والمنطقي لما افرزته القيم الاسلامية من ادب على مرّ العصور. واذا كانت العلاقة بين بعض المدارس الادبية والفلسفة التي تنتمي اليها علاقة تبدو أحياناً مخلخلة أو مفتعلة أو متناقضة أو غيرمقنعة ، فإن علاقة الادب الاسلامي بأبيه الشرعي الاسلام علاقة عضوية وثيقة لايمكن فصمها إلاّ في الفترات الشاذة العصيبة في عصور الجهل الايديولوجي والمحن السياسية والاستعمارية التي انتجت – على مر التاريخ – ادباً جاهلياً يعبر عن (الجاهلية) التي هي حالة تصحب مسيرة الحياة الانسانية حينما تبتعد عن منهج الخالق الباريء المصور وتتبنى مفاهيم وضعية بشرية. ومثلما تكون الجاهلية (حالة) وليست مرحلة تاريخية محددة كما هو معروف ، كذلك فالأدب الجاهلي لايخصّ ادب مرحلة معينة من التاريخ بل يرافق كل مرحلة تكون الجاهلية سائدة فيها ، فهو حالة قد تكون معبرة عن أدب ما قبل الاسلام أو ادب العصر الحديث في أوربا أو في العالم الاسلامي المتأثر بالمفاهيم الاوربية .

وإن مصطلح الادب الاسلامي – بمفهومه الملتزم – يقف قبالة هذا الادب الجاهلي معبراً عن (الاسلامية) التي هي حالة لمسيرة الحياة الانسانية على منهج الخالق سبحانه وتعالى بالتزام مفاهيم الاسلام الالهية ، وليست هي مرحلة تاريخية محددة بعصر صدر الاسلام أو غيره من العصور بل هي



ممتدة في حياة البشر منذ ظهور الاسلام وحتى وقتنا الحاضر ، وبناء على هذا يكون الادب الاسلامي حالة ايضاً تعبر عن التزام الاسلام واتخاذه منهجاً في الادب ابداعاً ونقداً وهذا هو المفهوم الذي استقر عليه مصطلح الادب الاسلامي في معظم الدراسات النظرية والنقدية التي قدمها النقاد والادباء الاسلاميون في العصر الحديث ، فهو يمثل نظرية في الادب ومذهباً في الابداع الادبي . أما فيما يخص تعريف الأدب الاسلامي فقد قدم الباحثون والنقاد الاسلاميون تعريفات متعددة انطوت على ركنين أساسيين ، أولهما : التعبير الجمالي المؤثر بالكلمة . وثانيهما : التصور الإسلامي للوجود . ومن خلال هذين الركنين تُتخذ شخصية الاديب المسلم وعمق ايمانه بمبدأ الاسلام ، اساساً في انتاج الادب الاسلامي ، وهذا مايجعل الالتزام شرطاً في الحكم على إسلامية الأدب ، فلا يدخل فيه ما ينتجه الادباء غير الاسلاميين من ادب يختلط ببعض تصورات الاسلام او يلتقي معها في جهة من الجهات ، إذ يبقى مثل هذا الادب بعيداً عن حقيقة الادب الاسلامي ، وهذا ما أكده اغلب النقاد الاسلاميين ، اذ يلعب الارتباط الوثيق بين نفس الأديب المسلم وابداعه الأدبي ، دوراً مهماً في استقلال الأدب الاسلامي وتحديد مقوماته الذاتية وعدم انسياقه في تيار التقليد والتبعية الذي جرف معظم نتاجات الادباء العرب في العصر الحديث رغم انتمائهم الظاهري ـ بحسب هوياتهم الرسمية - الى دين الاسلام .

فراحوا يخوضون في ادب الجنس والعنف والعبث واللامعقول وغيرها من مذاهب الادب وتياراته الباطلة، ولذلك لا يستطيع الناقد المنصف أن يصف أحد هؤلاء الادباء بأنه أديب إسلامي او حتى مسلم فالأديب المسلم هو من التزم بتعاليم دينه وعبّر في ادبه من خلال ايمانه العميق وصدر فيما يقول عن نفس مشبعة بروح الاسلام وحقيقته الابدية الخالدة ، والاديب المسلم عليه –
بجانب هذا – تبعات ومسؤوليات جسام تكون حلقة في عنقه حتى يؤديها بأمانةٍ وصدقٍ واخلاص وتجرد لعل في مقدمتها أن يجعل ادبه ادب بناء لا ادب هدم وينبوع خير لا شر ، ورسالة اصلاح لا تخريب وأن يكون له اثر في الحياة بعد مماته مما يحمده عليه الاسلام .

Abstract:

Several opinions concerning the Islamic literature term. Some of which are acceptable and others are rejected, but the researcher proposes some of which alternative terms like "Literature of the Islamic Peoples" or "The Muslim Literature" or "Islamation" or "Islamic Realism" or the "Islamic Criteria" etc.

Some of the Islamic critics have discussed the matter of those alternative terms and found them less than what is needed for the profound meditative awareness of the privacy of the term " Islamic Literature" with its accuracy and honest representation of its idealistic content. The existence of other types (non-Islamic) made those critics decide some distinctive features for the literature through which its position can be decided. Hence, some of them defined three literary rules for deciding the concept of Islamic literature and that of the anti-Islamic idealism literature.

Others suggested the term "Human Literature" or "the Literature of the Implied dimensions" for the product of the non-Muslims writers. But, and in spite of the attempts to bridge the gap, the term of Islamic literature have settled on its traditional concept committed to Islam, in fact, it became deeply rooted in our contemporary literature and a constant truth in our literary reality. Consequently, ignorance became the only end for the rigid writings opposing Islam.

Even though the relation between the philosophical and literary schools to which it belongs seems to be a little bit shaky or contradictory, but the relation of Islamic literature with its legitimate father, Islam, is strong bond that cannot be separated.

الهوامش :

(١) د. شلتاغ عبود ، الملامح العامة لنظرية الادب الاسلامي /٢٤
(٢) د. حسن الأمراني ، سيمياء الأدب الاسلامي ، موقع رابطة ادباء الشام – لندن . تحديث ٢٠٠٤م
(٣) سيد قطب ، خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ١٢٩/١
(٤) عبده زايد ، مفهوم الأدب الاسلامي عند المستشرق الامريكي جرنباوم ، مجلة المشكاة ، ع٢٧ – ٢٨ س١٩٩٨. ص٤٢
(٥) المصدر السابق /٤٥ – ٤٧
(٦) د. صالح محمد العبيدي ، الخطاب النظري للأدب الاسلامي ، موقع رابطة ادباء الشام – لندن . تحديث ٢٠٠٤م
(٧) من حديث الدكتور سعدأبوالرضا في (حوار مفتوح حول الأدب الاسلامي) ، مجلة الدعوة الاسلامية – ٢٠٠٣
(٨) الخطاب النظري للأدب الاسلامي /٣
(٩) د. محمد سالم سعد الله ، الإشكالية المنهجية في دراسة الأدب الاسلامي ، موقع رابطة أدباء الشام – لندن
(١٠) محمد حسن بريغش ، الأدب الاسلامي . أصوله وسماته /٣٣
(١١) الخطاب النظري للأدب الاسلامي /٦
(١٢) د. سعد ابو الرضا ، الادب الاسلامي بين المفهوم والتعريف والمصطلح ، مجلة الادب الاسلامي السعودية، ع(٧) س ١٩٩٥ ، ص٩٤.
(١٣) دورة المفاهيم الاسلامية ، معهد الفكرالاسلامي المنعقد في الجامعةالاردنية/١٩٩٦(الورقةالثانية).
(١٤) د. محمد زرمان ، ملخصات مؤتمر الادب الاسلامي : الادب الاسلامي . النشأة والمصطلح.ص١٧
(١٥) الأدب الاسلامي بين المفهوم والتعريف والمصطلح ، مجلة الأدب الاسلامي – ع(٧) س ١٩٩٥ ، ص٩٤
(١٦) الخطاب النظري للأدب الاسلامي /٤
(١٧) الملامح العامة لنظرية الأدب الاسلامي / ٢٤
(١٨) المصدر السابق /٢٥
(١٩) المصدر السابق / ٢٥
(٢٠) د. عمر الطالب ، مدخل الى مناهج الدراسات الأدبية / ٢٢٩ – ٢٣٩
(٢١) الخطاب النظري للأدب الاسلامي / ٥
(٢٢) د. عبد القدوس أبو صالح ، مفهوم الأدب الاسلامي ومميزاته ، مجلة المشكاة ، ع(٧-٨-٩) س١٩٩٨، ص١٧-١٨
(٢٣) د. محمد اقبال عروي ، جمالية الأدب الاسلامي / ٢١٩-٢٢٠
(٢٤) أضاف الكاتب هنا اسم الدكتور عماد الدين خليل، وليس الأمر كذلك لأنه في الواقع من أنصار الطرف الثاني.
(٢٥) الاشكالية المنهجية في دراسة الأدب الاسلامي / ٣
(٢٦) د. سعد أبو الرضا ، الأدب الاسلامي . قضية وبناء /٩-١٠
(٢٧) الاشكالية المنهجية في دراسة الأدب الاسلامي / ٤
(٢٨) سيمياء الأدب الاسلامي /٢



(٢٩) د. عدنان علي رضا النحوي ، مع مفهوم الأدب الاسلامي ، موقع دار النحوي . تحديث -٢٠٠٥

(٣٠) د. نجيب الكيلاني ، مدخل الى الأدب الاسلامي / ٣٩

(٣١) الملامح العامة لنظرية الأدب الاسلامي /٢٥

(٣٢) مجلة الأدب الاسلامي ، المجلد الاول ، ع(٢) . ص١٢

(٣٣) سيد قطب ، في التاريخ . فكرة ومنهاج / ٥

(٣٤) محمد قطب ، منهج الفن الاسلامي / ٦

(٣٥) د. صالح آدم بيلو ، من قضايا الأدب الاسلامي / ٥٧

(٣٦) د. عبد الرحمن رأفت الباشا ، نحو مذهب اسلامي في الأدب والنقد /٩٢

(٣٧) مدخل الى الأدب الاسلامي / ٣٦

(٣٨) محمد حسن بريغش ، في الأدب الاسلامي المعاصر . دراسة وتطبيق /٦٥

(٣٩) الأدب الاسلامي .أصوله وسماته /١١

(٤٠) مدخل الى نظرية الادب الاسلامي/ ٦٩

(٤١) المصدر السابق /٦٩

(٤٢) محمد الحسناوي ، في الادب والادب الاسلامي /٥

(٤٣) د. علي علي صبح ، الأدب الاسلامي .المفهوم والقضية /١١

(٤٤) د. عبد الحميد بوزوينه ، نظرية الأدب في ضوء الاسلام ١٤٠/٣

(٤٥) د. محمد إقبال عروي ، صورة المرأة في الرواية الاسلامية والشهود الحضاري ، مجلة المشكاة ، العدد(٧- ٨-٩) السنة١٩٩٨.ص٢٢٧

(٤٦) المصدر السابق /٢٢٩

(٤٧) د. عدنان علي رضا النحوي ، مع مفهوم الادب الاسلامي ، موقع دار النحوي. نت . تحديث -٢٠٠٥م .

(٤٨) د. عدنان علي رضا النحوي ، الادب الاسلامي . إنسانيته وعالميته / ١٠١

(٤٩) د. جابر قميحة ، بين إشكالية المصطلح ومعيارية التطبيق ، مجلة الوعي الاسلامي ، ع(٣٧٦) س١٩٩٧ .

(٥٠) في الادب الاسلامي المعاصر . دراسة وتطبيق / ٦٦

(٥١) نظرية الادب في ضوء الاسلام ١٤١/٣

(٥٢) حبيب آل جميع ، نظرات في الادب الرسالي /٢٠

(٥٣) د. حمد الدخيّل ، في الادب العربي الحديث / ١٧

(٥٤) ينظر: الادب الاسلامي . اصوله وسماته / ١٣٨- ١٥٢

(٥٥) محمد الرابع الحسني الندوي ، الادب الاسلامي وصلته بالحياة / ١٢

(٥٦) سيد قطب ، العدالة الاجتماعية في الاسلام / ٢٤٩

(٥٧) السيد حسن الشيرازي ، العمل الادبي / ٢١٨

(٥٨) الندوة العالمية للادب الاسلامي ، مجلة البعث الاسلامي ،العدد(١-٢) ، السنة١٩٨١. ص٨٦



المصادر والمراجع :

١- الأدب الاسلامي . أصوله وسماته ، محمد حسن بريغش ، دار البشير – عمان / الأردن ١٩٩٢م.

٢- الأدب الاسلامي. انسانيته وعالميته ، د. عدنان علي رضا النحوي ، دار النحوي للنشر والتوزيع– الرياض ١٩٩٤م ط٣ .

٣- الادب الاسلامي بين المفهوم والتعريف والمصطلح ، د. سعد ابو الرضا ، مجلة الادب الاسلامي ، الســعودية- ع(٧) س ١٩٩٥ ، ص٩٤.

٤- الأدب الاسلامي . قضية وبناء ، د. سعد أبو الرضا ، عالم المعرفة – جدة ١٩٨٣م .

٥- الأدب الاسلامي . المفهوم والقضية ، د. علي علي صبح ، د. عبد العزيزشرف ، د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل – بيروت ١٩٩٢م .

٦- الأدب الاسلامي وصلته بالحياة ، محمدالرابع الحسني الندوي ، مؤسسةالرسالة– بيروت١٩٨٥م.

٧- الإشكالية المنهجية في دراسة الأدب الإسلامي ، د. محمد سالم سعد الله ، رابطة ادباء الشام – لندن . تحديث ٢٠٠٥م.

٨- بين إشكالية المصطلح ومعيارية التطبيق ، د. جابر قميحة ، مجلة الوعي الإسلامي ، العدد (٣٧٦) السنة ١٩٩٧م .

٩- جمالية الأدب الاسلامي، محمد إقبال عروي ،المكتبة الفلسفية– الدار البيضاء / المغرب ١٩٨٦م.

١٠- حوار مفتوح حول الادب الاسلامي ، من حديث الدكتور سعد ابو الرضا ، مجلة الدعوة الاسلامية – ٢٠٠٣م.

١١- خصائص التصور الاسلامي ، سيد قطب ، مكتبة عيسى البابي الحلبي – القاهرة ١٩٦٢م .

١٢- الخطاب النظري للأدب الاسلامي ، د. صالح محمد العبيدي ، موقع رابطة ادباء الشام – لندن تحديث ٢٠٠٤م

١٣- دورة المفاهيم الاسلامية ، معهد الفكرالاسلامي المنعقد في الجامعةالاردنية/١٩٩٦(الورقةالثانية).

١٤- سيمياء الادب الاسلامي ، حسن الامراني ، موقع رابطة ادباء الشام – لندن . تحديث ٢٠٠٥م.

١٥- صورة المرأة في الرواية الإسلامية والشهود الحضاري ، محمد إقبال عروي ، مجلة المشكاة – العدد (٧-٨-٩) السنة ١٩٩٨م.

١٦- العدالة الاجتماعية في الاسلام ، سيد قطب ، دار الكتاب العربي ١٩٤٩م .

١٧- العمل الأدبي ، السيد حسن الشيرازي ، مؤسسة البلاغ – بيروت ٢٠٠٥ م.

١٨- في الأدب الاسلامي المعاصر . دراسة وتطبيق ، محمد حسن بريغش ،مكتبة المنار – الزرقاء/ الأردن ١٩٨٥م ط٢ .



١٩- في الأدب العربي الحديث ، د. حمد الدخيّل ، النادي الأدبي بحائل ١٤٢٦ هـ .
٢٠- في الادب والادب الاسلامي ، محمد الحسناوي ، المكتب الاسلامي – بيروت ١٩٨٦م.
٢١- في التاريخ فكرة ومنهاج ، سيد قطب ، الدار السعودية للنشر د.ت .
٢٢- مجلة الأدب الاسلامي ، المجلد الاول ، ع(٢)
٢٣- مدخل إلى الأدب الإسلامي ، د. نجيب الكيلاني ، دار ابن حزم للطباعة – بيروت ١٩٩٢م ط٢.
٢٤- مدخل إلى مناهج الدراسات الأدبية ، د. عمر الطالب ، منشورات دار عكاظ – الرباط ١٩٨٨م.
٢٥- مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ،د. عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٨٧م.
٢٦- مع مفهوم الأدب الاسلامي ، د. عدنان علي رضا النحوي ، موقع دار النحوي . تحديث -٢٠٠٥م .
٢٧- مفهوم الأدب الاسلامي عند المستشرق الامريكي جرنباوم ، عبده زايد ، مجلة المشكاة ، ع٢٧–٢٨ س١٩٩٨م.
٢٨- مفهوم الأدب الاسلامي ومميزاته ، د. عبد القدوس أبو صالح ، مجلة المشكاة ، ع(٧-٨-٩) س١٩٩٨م.
٢٩- الملامح العامة لنظرية الأدب الإسلامي ، د. شلتاغ عبود ، دار المعرفة – دمشق ١٩٩٢م.
٣٠- ملخصات مؤتمر الادب الاسلامي (الادب الاسلامي . النشأة والمصطلح) ، د. محمد زرمان
٣١- من قضايا الأدب الإسلامي ، د. صالح آدم بيلو ، دار المنارة – جدة / السعودية ١٩٨٥م.
٣٢- منهج الفن الاسلامي ، محمد قطب ، دار الشروق – بيروت .د.ت.
٣٣- نحو مذهب اسلامي في الأدب والنقد ، د. عبد الرحمن رأفت الباشا ، دار الأدب الاسلامي للنشر والتوزيع ١٩٩٨م .
٣٤- الندوة العالمية للأدب الاسلامي ، مجلة البعث الاسلامي ، العدد (١-٢) السنة ١٩٨١م.
٣٥- نظرات في الأدب الرسالي ، حبيب آل جميع ، دار الملاك – بيروت ١٩٩٧م .
٣٦- نظرية الأدب في ضوء الاسلام ، د. عبد الحميد بوزوينة ، دار البشير – عمان / الأردن ١٩٩٠م.